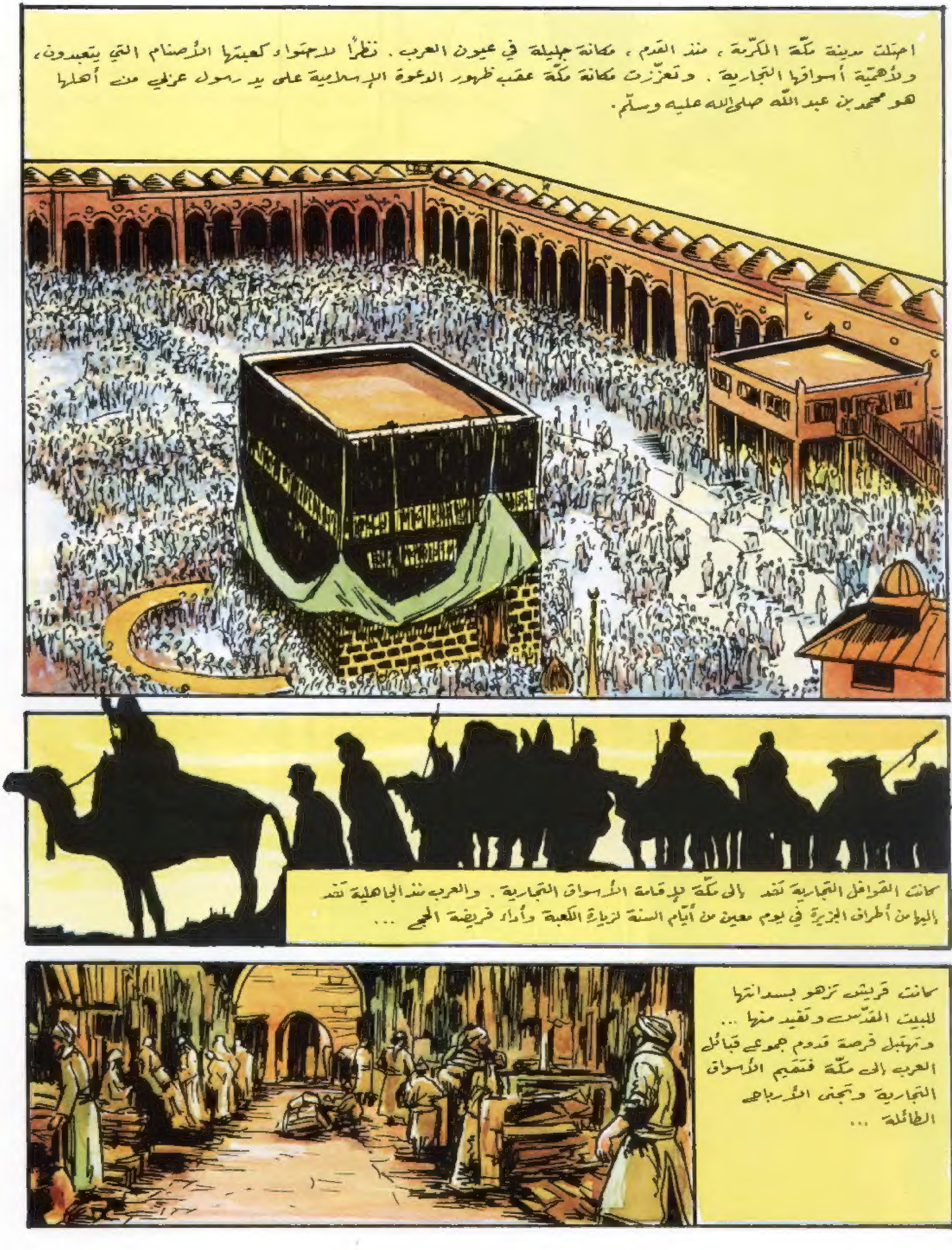
مشاهير العرب

زكريا كايا

سعد بن ابي وقاص

بَطل معركة القادسيّة




احتلت مدينة مكّة المكرّمة، منذ القدم، مكانة جليلة في عيون العرب. نظرًا لاحتواء كعبتها الأصنام التي يتعبدون، ولأهمية أسواقها التجارية. وتعزّزت مكانة مكّة عقب ظهور الدعوة الإسلامية على يد رسول عربي من أهلها هو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلّم.
كانت القوافل التجارية تفد إلى مكّة لإقامة الأسواق التجارية. والعرب منذ الجاهلية تفد إليها من أطراف الجزيرة في يوم معين من أيام السنة لزيارة الكعبة وأداء فريضة الحج ...
كانت قريش تزهو بسدانتها للبيت المقدّس وتفيد منها ... وتهتبل فرصة قدوم جموع قبائل العرب الى مكّة فتقيم الأسواق التجارية وتجني الأرباح الطائلة ...



تشدّد سكان مكّة في رفض الدعوة الإسلامية ، وبالغوا في اضطهاد أنصارها ظنّاً منهم بأن الدين الجديد سوف يتسبّب في القضاء على شهرة مدينتهم ، ويلحق أفدح الأضرار بتجارتهم ...
كان والد "سعد" ، يعمل صانعاً للنبال والقسيّ ، وشديد الاهتمام بالدعوة
ما بال قريش تمعن في معارضة الدعوة وتضطهد أنصارها ؟
يا بني ! إن أغنياء قريش يخشون بوار تجارتهم وزوال سطوتهم !
ولكن الدعوة تدعو إلى توحيد العرب وصلاحهم !
وهنا مكمن الخطر على أمثال "أبي سفيان" وثرواتهم وسلطانهم !
أطرق "سعد" مفكّراً فيما سمعه من أبيه وقد انزوى في ركن من داره ...
ما أعجب بعض العرب ؟!.. أتاهم من يوحّد شملهم ويوقف القتال والنزاع فيما بينهم ، ومع ذلك لا يهتدون ؟!
كانت دعوة "محمد" إلى الإسلام والتوحيد قد ملأت الآفاق وصارت شغل العرب الشاغل يتحدّثون عنها بين مؤيّد ورافض !
وربّ الكعبة.. إن "محمداً" سيجرّ العرب إلى واحدة من اثنتين : إمّا إلى الدمار أو إلى المجد



أي " سعد " ! يرغب " أبو بكر " في لقائك وقد كلّفني ابلاغك ذلك !
" أبو بكر " يدعوني ؟
قَدِمَ ، ذات نهار ، إلى دار " سعد بن أبي وقّاص " ، رسول من قبل " أبي بكر " يبلّغه رغبة " أبي بكر " في لقائه !
أيّ قدر ينتظرني ؟.. أنا أقابل " أبا بكر " ؟!
تملّك السرور " سعدًا " عقب مغادرة الرسول وراح يحادث ذات نفسه !
يا للمُصيبة !
سمعت " أم سعد " الحديث الذي دار بين ابنها ورسول " أبي بكر " ...
أمّاه ، " أبو بكر " يدعوني للقائه .. أعدّي لي أفضل الثياب !
إلتقى " سعد " أمه جذلانًا ...
إيّاك أن تُخدع يا بُنيّ ! دع " أبا بكر " وشأنه .
لابدّ لي من تلبية الدعوة الكريمة ، وهذا شأن يخصني وحدي ... أحضري لي ثوبي وحسب ..
استاء " سعد " من رد أمه ولكنه كظم غيظه ، وتجنّب إيذاء مشاعرها .
أي نذير شؤم هذا الذي اختار ابني أنا من بين العرب !
ومع ذلك مضت الأم الى صندوق كبير تخرج منه الثوب الفاخر لابنها .


ارتدى " سعد " ثوبًا فاخرًا واستعد للذهاب إلى دار " أبي بكر " .. وهو في غاية الشوق إلى لقائه ...
كان " أبو بكر " يسكن في دار تقع في أحد أحياء مكّة ...
وعندما مثل "سعد" أمام "أبي بكر" سمعه يقول :
يا " سعد " ، أدعوك إلى الإسلام والجهاد في سبيل الله ، فماذا تقول ؟
هذا شرف عظيم لا أستحقه وهو حلم كل عربي شهم !
وطال الحديث بين " أبي بكر " و"سعد" عن الدين الجديد ومزاياه !
أشهد أن لا إله إلاّ اللّه ، وأشهد أن محمّدًا رسول الله !


شددت قريش من وتيرة اضطهادها لأنصار "محمد" وداهمت مساكنهم، وساقتهم الى خارج مكّة وحصرتهم في أحد شعاب الجبال المحيطة بها وفرضت عليهم العزلة، ومنعت العرب من التعامل معهم أو الزواج منهم ..
راحت قريش تسوم المؤمنين العذاب الشديد ...
والله لو مزقتموني إرباً إرباً، لن أترك "محمداً"!
تنكّر يا هذا "لمحمد" وبدعته.. فأطلقك حرّاً إلى أهلك!
ومع مرور الأيام نفد زاد المسلمين المحاصرين وعضّهم الجوع بنابه، وكانت النسوة تشجع الرجال على الثبات والصمود ...
أيّها المؤمنون، أصبروا وصابروا إن دعوة "محمد" هي الحق ولها النصر المؤزر ...
كان أحد القرشيين ينظر الى صلابة المؤمنين ورسوخ إيمانهم ويأخذه العجب..
ما الذي فعله "محمد" حتى شدّ هؤلاء إليه إلى هذا القدر؟
تمزّق القرشيون غيظاً أمام صلابة المؤمنين وثباتهم.. فراحوا يتوعدونهم بالويل والثبور وعظائم الأمور ...
وحق اللات والعزّى لسوف أذيقكم العلقم حتى تتنكّروا "لمحمد" ولبدعته!


لم يبقَ أمامنا خيار غير الهجرة ، فلنتوكل على الله !
في يثرب لنا أنصار وهم أهل ثقة ، أرى أن نهاجر في غداة غد !
أوغل القرشيون في عدائهم للمسلمين حتى جعلوا مقامهم في مكّة أمرًا مستحيلًا ، وأجبروهم على الخروج منها . فقرّر المسلمون الهجرة إلى يثرب " المدينة " حيث لقوا من أهلها القبول والترحاب ، فاجتمع "سعد" إلى جماعة من المسلمين يحثّهم على الهجرة ...
ومع خيوط الفجر الأولى كانت القافلة في طريقها إلى المدينة ...
الله أكبر .. الله أكبر !
وأخيرًا بلغنا المدينة المباركة !
كانت المدينة "يثرب" محط آمال المسلمين يفدون إليها هاربين من جور القرشيين والمشركين .. وهناك ينظمون أمورهم بأمان ...
الله أكبر .. أهلًا وسهلًا بالأخوة الوافدين !


تذكروا أن مصير أية معركة يعتمد على مهارتكم في تسديد النبال !
أدرك "سعد" أن الإسلام دعوة وجهاد ، وهذا يقتضي الإعداد والاستعداد للمعارك القادمة لا محالة ، فتعهّد جماعة من المسلمين ليدرّبهم على رمي النبال ...
كانت قوة المسلمين تزداد يومًا بعد يوم ، وصفوفهم تنتظم وخبراتهم القتالية تزداد ... بلغ الرسول أن قافلةً للأثرياء مكة سوف تمرّ بقرب المدينة فقرّر أن يستولي عليها ، وخرج على رأس قوة من المسلمين وكمن للقافلة عند آبار بدر ولكن "أبا سفيان" زعيم القافلة نجا بدهائه تحت جنح الظلام وبعث بقوة مسلّحة لمقاتلة المسلمين
وجد المسلمون أنفسهم وجهًا لوجه مع قوة مسلّحة من قريش تفوقهم عددًا وعدّة ... ودارت بين الطرفين معركة طاحنة انتصر فيها المسلمون رغم قلّة عددهم ...
لقد نصرنا الله على عدوّنا ... الله أكبر !
أبلى "سعد" في المعركة أحسن البلاء وأسر اثنين من القرشيين ...


عقب بدر شارك "سعد" في غزوة أحد واستبسل في الدفاع عن النبي وأمطر المشركين وابلاً من النبال القاتلة ...
خشي اليهود من تعاظم قوة المسلمين، وقد ناصبوا الدعوة الإسلامية العداء منذ أيامها الأولى، فراحوا يحرّضون القبائل على مهاجمة يثرب والقضاء على المسلمين قضاءً مبرمًا، واحتشد المشركون تحت رايات أحزاب شتّى وجعلوا هدفهم واحدًا هو القضاء على "محمد" وأنصاره .. وفي يثرب برز مؤمن من بلاد فارس اسمه "سلمان" وأشار على المسلمين تحصين المدينة بحفر خندق من حولها..
عمّقوا وعرّضوا الخندق فيأمن المدينة !
أصبت، إن ذلك يتيح للرماة الفتك بالأعداء بشكل أفضل !
خرج "سلمان" من المدينة وطاف بسورها وخطّ بسيفه إطار الخندق ...
والتقى "سعد" "سلمان" ..
الخندق يعزّز دفاعات المدينة !
نعم الرأي ... كلما عمّقنا الخندق وأوسعنا في عرضه كلما كان أفضل حالاً
فرغ المسلمون من حفر الخندق حول المدينة، فتفقّد "سعد" برفقة "سلمان" الخندق.. وأبديا إعجابًا وارتياحًا للإنجاز الهام ...
صعد المسلمون فوق الأسوار فرحًا وراحوا يهللون ابتهاجًا !
الله أكبر !


إستسلموا
وإلاّ لاقيتم أسوأ
مصير !
قاد " أبو سفيان " أحزاب المشركين إلى يثرب وفي نيّته القضاء على المسلمين قضاءً مبرمًا .. وعندما بلغ أسوار المدينة فوجئ
بالخندق الهائل الذي حال بينه وبين اقتحام المدينة ، فجنّ جنونه وأمر بضرب حصار شديد حول المدينة حتى تستسلم أو تقضي جوعًا وعطشًا ...
إرموهم بسيل
من نبالكم !
وأمر " سعد " النبّالين
برمي حشود المشركين ...
إستمر الحصار أسابيع لم يهدأ النبّالون خلالها من إمطار المشركين سيولاً من
النبال ، أوقعت إصابات بالغة في صفوف المحاصرين وبعثت اليأس في نفوسهم ..
سدّدوا نحو
الأهداف بدقّة ...
الله أكبر !
دبّت البلبلة في صفوف
المشركين عندما أدركوا
استحالة اقتحامهم المدينة ..
فأمر " أبو سفيان " ، رغم
أنفه ، بفك الحصار عن
المدينة ، و النكوص
على الأعقاب والعودة إلى
مكّة وهو يجرجر أذيال الذلّة

إنتقل النبي الكريم الى الرفيق الأعلى قبل انصرام شهر الربيع الأول
من عام ١١ للهجرة الموافق لشهر حزيران من عام ٦٣٢ للميلاد ..
تولى الخلافة من بعده أقرب أصدقائه إليه ، " أبو بكر الصدّيق " ..
وتمّت له البيعة في اجتماع سقيفة بني ساعدة ...








وافت المنيّة " أبا بكر " بعد عامين وحوالي ثلاثة أشهر من خلافته فعقد لواء الخلافة من بعده " لعمر بن الخطّاب " ...
يمم "عمر" شطر مملكة فارس لدرء خطرها عن شرقي بلاد العرب ولبسط سلطان العرب حتى جبال زاغروس .. ولو كان الأمر بيده كما يقول لجعلها "جبال زاغروس" جبال نار بين العرب والفرس ...
وعندما فرغ " عمر " من إعداد خطط الحملة لفتح العراق قرّر أن يعهد بقيادتها إلى قائد صحابي نشط فتوجّه بفكره نحو "سعد بن أبي وقّاص".. وأقرّه عليه كل من استشاره من أهل الرأي فبعث رسولاً إلى "سعد" ...
سرْ إلى دار "ابن وقّاص" وأحضر "سعدا" إليّ!
سمعاً وطاعة !
أجب يا "سعد".. "عمر بن الخطّاب" يدعوك !
نعْمَ الدعوة.. سوف ألبّي دعوته في الحال !
وأسرع الرسول إلى دار "سعد" واستقدمه ...
ومثل "سعد" بين يدي الخليفة "عمر بن الخطّاب" ...
يا "سعد" وليّناك قيادة حملة العراق فماذا تقول ؟
شرف عظيم لا أستحقه.. سوف أبذل ما أستطيع في سبيل النصر !
وأخذ "عمر" يشرح أهمية العراق لمستقبل العرب وضرورة هزم الفرس لتوطيد أركان الدعوة
جمعت لك خيرة قبائل العرب وستجد من عرب العراق عوناً صادقاً، فتوكّل على الله !
وشطح فكر "سعد" إلى أرض العراق أرض الملوك وتذكر انتصارات القائد العربي "المثنى بن حارثة الشيباني"...
بإذنه تعالى سوف أطهّر أرض العراق من رجس عبدة النار المجوس !



اختلفت القبائل التي حشدت لحملة العراق في اختيار "سعد بن أبي وقاص" قائدًا للحملة بين مؤيّد ورافض ...
يا لـه من اختيار .. كيف يولّى علينا فتىً غرّ ؟
وهل كونه صحابيًا يكفي ؟ سيّما وللفرس جيشًا محاربًا شديد البأس !
ولكنه اختيار "عمر" .. ومن يختاره الخليفة علينا واجب طاعته !
الله أكبر .. لا إله إلا الله !
لم ندعُ لوليمة .. إنّما نحن حَمَلة رسالة كريمة إلى الدنيا كما أوصانا نبيّنا الكريم فاعمروا قلوبكم بالإيمان وتوكلوا على الله !
وخرج "سعد" فارسًا واخترق صفوف حشود القبائل، ففتنت به وبهابته وسرعان ما أحبته ووثقت به ...
التف الرجال حول "سعد" وأخذوا يتبارون في إبداء إعجابهم به ...
لقد علمنا الرجل إنّه خير من تُعقد له راية الرئاسة وأحسن من يقود الحملة !
إنه اختيار "عمر". وهل يختار "عمر" غير الأقدر والأفضل؟


حرص "عمر" أن يجعل من خروج الحملة مناسبة مهيبة ليرفع من معنويات العرب مقاتلين
ومودّعين فجرت أرتال المجاهدين في طرقات مكّة وعرّجت على الكعبة الشريفة وطافت
حولها وسط تهليل وتكبير المؤمنين.. وكان الخليفة "عمر" ينظر الى جيش المسلمين فتدمع عيناه فرحا !
أترى يا صاحبي ما أرى ؟ "الحصين" مجاهدا في صفوف المسلمين ؟
ووقع نظر أحد العرب على "الحصين بن نمير السكوني" الذي كان في الجاهلية شديدا على المسلمين فدُهش ...
قسما بالله العظيم سأجاهد حتى الموت تكفيرا لما اقترفت يداي من ذنب !
وعندما مرّ "الحصين" بالكعبة الشريفة التي أعمل معوله أيام الشرك لهدمها أخذته الحميّة ...
سار جيش العرب يحثّ السير في أرض نجد على طريق المدينة - حيرة ، وقد يمّم وجهه شطر العراق ، وكان "سعد" يواصل التفكير في أفضل السبل التي تحقق النصر، ويذكر قول عمر: إذا انتهيت إلى الزرود فانزل . واستعن أهل النجدة والرأي والقوة والعدة وجعل في حسابه عرب العراق النصارى الذين نفذ صبرهم من إذلال واضطهاد الفرس لهم ...
لبّيك يا أرض العراق العربية .


أقيموا المضارب هنا وليَنل المجاهدون قسطا من الراحة فقد يطول مقامنا !
أمرك مطاع ، وسأعزز الحراسات ضمانا للسلامة !
كان "سعد" شديد الحرص عند تنفيذ المهام فهو لا يغفل شاردة أو واردة مهما كانت صغيرة أو كبيرة .. وطول الطريق كان لا ينقطع عن التفكير في كل ما يساعده على مهمته .. وفي رأس اهتماماته وصايا "عمر" : «إن لكل عادة عتادا فعتاد الخير الصبر» ويتذكر قول بعض العرب «لم يكن أحد من العرب أجرأ على فارس من ربيعة» . وبلغ الجيش "زرود" فأمر "سعد" بالنزول حول آبارها . .
ونفذت مهمة الإقامة في "زرود" على أحسن وجه واستسلم الجيش للراحة ...
يا رسول .. ملع لخليفة حاجتنا لمعونة يقدرها هو !
سمعا وطاعة !
كان "سعد" في خيمته يحسب للحملة بدقة ولا يغفل قوة وبأس فارس . وخلص إلى طلب النجدة من "عمر" ...
هذا يوم للعرب كافة لا فرق بين مسلميه ونصاراه، على الجميع أن يتآزروا في سبيل خير العرب وعلى كافة القبائل أن تتوحد في سبيل دحر الفرس وطردهم من بلاد العرب . "ربيعة" بكر وائل "تغلب" طي شيبان بحيله !
عقب خروج الرسول من خيمته شرد "سعد" بفكره إلى أرض العراق وعرب العراق
أبشروا يا عرب هذا يوم مشهود من أيام العرب له ما بعده !
ووصلت تعزيزات من عند الخليفة "عمر" !


ذُعِرَ "آزاذبه" عامل العجم في العراق لدى تواردِ أنباء حشود قبائل العرب وعزمها على تحرير العراق من حكم العجم ..
فعزم على مجابهة الحالة المريعة ... وقفز بفكره إلى العمل على زرع بذور التفرقة بين قبائل العرب وهو سلاحه ماضٍ
فاستدعى رجلاً ، وأمره بالذهاب إلى سليل الخيانة "قابوس بن قابوس بن المنذر" ...
قل لقابوس : أن يدعو العرب إلى نصرتنا وكن كما كان أبوك خادماً لفارس !
مولاي ، إن سيرة هذا الرجل مذمومة بين العرب ولا أظن إن أحداً سيلبي نداءه !
وصل الرسول أمام "قابوس"..
إن آزاذبه سيد العراق يدعوك إلى حشد القبائل العربية لنصرة فارس العظيمة !
أمره مطاع ... وهي فرصتي لتزعم عرب العراق !
تذكّر إن أنت أفلحت في التنفيذ ونجحت نلت مكافأة هامة وأنت تعرف جزاء القاعس والفشل
كان أحد النصارى العرب يسترق السمع
والله هذه خيانة ما بعدها خيانة. أن تجتمع العرب على نصرة العجم بدل الإنتصار لنفسها !
لا بدّ أن أُعلم "المعنّى" بما يدبّر في الخفاء شرف لي أن أنصر بني قومي على العجم !
فعزم العربي الأبيّ أن يبلغ ذي قار على عجل ويطلع "المعنّى بن حارثة" ، شقيق "المثنى" ، بالأمر ليحترز له ...


وقف " المعنّى بن حارثة " على حقيقة ما يحاك في الخفاء وأدرك خطورة المكيدة فقرّر القضاء فورًا على رأس الخيانة " قابوس " ... فمضى تحت جنح الظلام على رأس ثلّة من رجاله وحث السّرى إلى القادسية ...
خسئت العجم، لقد دفن الرسول العربي الكريم تنازع العرب فيما بينهم وصارت صفوفهم كالبنيان المرصوص!
والله هذه مكيدة دنيئة ... ضرب العرب بعضهم بعضا جريمة نكراء!
وبلغ " المعنّى بن حارثة " القادسية وكبس " قابوس " في داره وانقض عليه وقتله!
خذها من يد عربية يا سليل الخيانة!
انخسفي أيتها الأرض حزنا.. لقد مات غازي الدنيا بسيفه والزاهد عنها بقلبه!
ووافت المنيّة البطل العربي المجاهد " المثنى بن حارثة " فحزن له أخوه " المعنّى " وأعدّ له جنازة تليق بمثله
خير مواساة لزوجة هذا البطل العربي الكبير أن تبقى مناضلة في ميادين جهاده!
رغم الحزن الشديد الذي تملّك " المعنّى " لفقده أخاه لم ينسَ أرملة أخيه الراحل...
مضى " المعنّى " إلى زوجة أخيه وعزّاها بفقد زوجها ...
خير ما أقدّمه لك يا أخت العرب من عزاء هو أن أسير بك إلى سعد
والله لن أبكيه. سوف أكرّس حياتي مجاهدة في سبيل مجد العرب كما فعل " المثنى "!



قبائل العرب على رأي واحد ؟ يا للفرصة الكبرى !
زعّم "المعنّى بن حارثة" موكباً مهيباً وأركب أرملة أخيه هودجاً نفيساً يليق بزوجة بطل لعمام امتشق سيفه انتصاراً لبني قومه ولرسالة النبيّ العربي الكريم التوحيديّة ، وبلغ الموكب زرود ، وقال "المعنّى" ما رأى من حشود صناديد العرب.
حللت أهلاً وقدمت سهلاً، وشرف لي أن ألبيّ أيّ مطلب .
لنفسي لا أريد شيئاً ! انتصار العرب ومجدهم جلّ مطلبي !
استقبل "سعد" أرملة "المثنّى" و"المعنّى" أحسن استقبال...
يا رجل بلّغ المغيرة ابن شعبة المسير إلى أبلّة واحتلالها فوراً !
أمرك مطاع يا أمير !
انفرد "سعد" بنفسه في خيمته نشوان بشهامة أرملة "المثنّى" وكبريائها، ولكن همّه كان تنفيذ أمر الخليفة "عمر" بالسيطرة على أبلّة لقطع طرق الإمداد عن الفرس...
وسار المغيرة بن شعبة على رأس قوّة إلى أبلّة للسيطرة عليها ليسهل على "سعد" مجابهة الفرس الأعاجم !


انتقل "سعد" بجيشه من زرود إلى شراف "وشراف موقع قريب من القادسية" وعسكر فيه وانكب يدرس الخطط التي تمكنه من هزم الأعداء والقضاء عليهم .. أفاد "سعد" من الخطط الحربية التي اعتمدها "المثنى" وانتهى إلى الإقرار: بأن القادسية هي مفتاح العراق وفيها يجب أن تجري المعركة الفصل. واجتمع "سعد" بأحد كبار قادته وأطلعه على قراره هذا!
صدقت ، وقد كانت القادسية هم "المثنى" وهدفه الكبير
القادسية هي الهدف الرئيسي هذا ما انتهيت إليه !
في الجاهلية كانت القادسية باب فارس نظرا لأهمية موقعها الجغرافي وقد فطن الفرس الى ذلك فبالغوا في تحصينها ..
وردت "سعدا" رسالة من "عمر" تؤكد ما انتهى هو إليه من أهمية القادسية، راح يقرأها بصوت عال:
... إنك تقدم على أمة عددهم كثير وعدتهم فاضلة وبأسهم شديد.. والقادسية باب فارس في الجاهلية وهي أجمع تلك الأبواب.. وهو منزل خصيب وحصين دونه قناطر وأنهار ممتنعة. إلزم مكانك فلا تبرحه . فإن أنتم صبرتم لعدوكم واحتسبتم لقتاله ونويتم الأمانة رجوت أن تنصروا عليهم
عقد "سعد" اجتماعاً لقادة الكتائب وأطلعهم على أوامر "عمر" ...
هذا ما يراه عمر ولشدة حرصه أرسل لنا تعزيزات وهي في طريقها إلينا !
ما أبلغ حكمة "عمر" في قوله : أن يجتمعوا وليست معهم قلوبهم "!! علينا إلقاء الرعب في صفوف العدو قبل قتاله
وبعد أيام وصلت فرقة من فرق "أبي عبيدة" إلى "شراف" !


وحرص "سعد" أن يقف على رضى قوات المسلمين العام فأفاده قائد النجدة، بأن "خالد ابن الوليد" يوالي فتوحاته في أرض الشام وهو يلقى دعماً كبيراً من أهلها العرب النصارى الذين ضموا على دعم بني قومهم بهدف طرد الرومان، وأن الخليفة "عمر" حريص على تحرير العراق من الفرس، ليتم تحرير بلاد العرب من المحتلين ..
الخليفة يحذّر من مجابهة جيش الفرس وهم على قوّتهم وعزيمتهم كما ينبّه إلى أخطار مكائدهم وخدعهم!
نعمَ الحرص .. لسنا بغافلين عمّا ينتظرنا من عدوّ محتلّ!
يا رجل ناد على الرحيل!
وعزم سعد على شدّ الرحال والمسير الى القادسية
يا رجال، شدّوا الرحال إلى القادسية المسير!
ورفع المنادي عقيرته.
انتظمت كتائب الجيش وسارت ليلاً باتجاه القادسية وكان البدر ينير الفلوات من حولهم ويسهّل الرؤية أمامهم ..
وعندما بلغوا "العذيب" برز لهم على الأفق حصن فارسي ورأوا على أبراجه أناساً تظهر وتختفي فظنّوا أن في الحصن حامية كبيرة


تتصعد جماعة مختارة إلى الحصن وتتبين أحواله قبل الاقتحام !
أمر "سعد" اقتحام الحصن خلسة حرصاً منه على سلامة جنده ...
لا خطر ههنا .. إصعدوا الضجّة !
تطوّع مقاتلون أشدّاء للمهمّة وحملوا سلّماً ثبّتوه على جدار الحصن وتسلقوه حتى بلغوا سطح الحصن .
عمدت الجماعة إلى فتح باب الحصن دون أن تلقى أيّ فارسي يعترضها .. واندفعت جموع جنود العرب إلى داخل الحصن ...
إن الحصن خالٍ تماما من الأعداء ، إن في الحصن مؤناً وذخائر جمّة !
كان الحصن خاليا تماما من جنود الفرس أمر "سعد" بتفتيش الحصن تحسباً لأي طارئ
وفجأة انطلق جندي فارسي مذعور مخترقاً صفوف العرب إلى خارج الحصن يريد النجاة ...
الحقوا بالأعجمي واقتلوه قبل أن يبلغ جماعته ويفضح أمرنا لديهم !


طارد فارس عربي الجندي الفارسي بعناد وإصرار، فأدركه بعد لأي وفتك به ...
لقد جندلته وهذه قلنسوته !
عاد الفارس إلى الحصن حاملا قلنسوة الجاسوس الفارسي ..
أمرنا الأمير سعد ألا نحمل المؤن والذخائر إلا ما يكفي حامية صغيرة !
أمر "سعد" بنقل المؤن التي في الحصن إلى إدارة تموين الجند ...
تابع "سعد" سيره باتجاه القادسية حتى بلغ مكانا اسمه "الزهرة" !
أقيموا المضارب ههنا شدّدوا الحراسة .. مقامنا ههنا قد يطول !
نُصبت الخيام في "الزهرة" وهي موقع في ظاهر القادسية وشُدّدت الحراسات حول المضارب وأخلد العساكر للراحة ...



جال "سعد" في أرض "غريب" ودرسه الموقع الذي قرر أن يكون ميدانًا للمعركة الفاصلة مع الفرس ... فرأى أن يمتنع عن عبور النهر خوفًا من ضربات باغتة للعدو ... فعمد إلى تحصين مواقعه على طول الشاطئ الغربي للنهر وأحكم سيطرته على القنطرة التي تشكل المعبر الوحيد الهام ...
إن الخليفة على صواب ليس أفضل من حرب كرّ وفرّ، عبرها يمكنني استنزاف قوة العدو!
راح يتمعن في أنجع السبل في قتال العدوّ خاصة وهذا العدوّ هو جيش امبراطورية فارس ...
واجتمع سعد ببعض قادته ليوزع عليهم تعليماته وأوامره ...
إن حربًا على هذا النحو تلقي الذعر في صفوف العدو وتقهر معنوياته!
عليكم بالكمائن وبالضربات السريعة لقوى العدو المعزولة والتي تشكل هدفًا سهلًا!
يا له من عبقري فذ .. تحت مثل هذه القيادة لا بدّ أننا سائرون إلى النصر!
جرت الاستعدادات القتالية وأعدت مجموعات للكمائن وأخرى للضربات المفاجئة
لا تغفلوا عنصر المباغتة أبدًا ... رافقتكم السلامة!


مضت مفرزة مقاتلة تعبر القنطرة الى الجانب الشرقي للنهر لتتخذ لها أماكن تصلح لأن تكون كمائن ناجحة ...
هنا خير موقع لتكمين، فهو يمكننا من مراقبة الطريق بسرية !
وجدت المفرزة في غابة نخيل كثيفة يعترضها طريق عام ضالتها فتوزعت بين السعف وكمنت تراقب الطريق
صدف مرور شقيقة "آزاذيه" على الطريق وهي في موكب عرسها وسط حراسة جند من العجم ...
لا تخشي بأسًا ... حرّاسك رجال أشدّاء !
ينتابني شعور غامض من الخوف ونحن وسط هذا المكان الموحش !
إن صمت وسكون المكان يرهبني !
انقض رجال الكمين على موكب العروس وأعملوا في الحرس السيوف وقتلوا من قتلوا وولى بالفرار من استطاع إليه سبيلاً ووقعت العروس وبعض مرافقيها في الأسر
الله أكبر !
اللّـه أكبر خذها يامجوسي !


عادت المفرزة العربية إلى "عذيب" تسوق أمامها غنائمها وأسراها ، واستقبلت بالتهليل والتكبير عندما علم أن شقيقة "آزاذبه" لهي في جملة الأسرى ...
الله أكبر !
أخت أزاذبه " أسيرة لدى العرب ؟!
أدرك "سعد" أن المعركة مع الفرس قد بدأت ولا بدّ من الاستعداد والإعداد الجدّي وفكر في عرب الحيرة وهم نصارى ،
لقد نصر النصارى العرب المثنى، وكانوا خير عون له على الأعاجم !
يا رجل إذهب في الحال إلى مطران السريان فهو عربي أبي من بني لخم واسأله العون !
بلغ الرسول الحيرة سرًا واجتمع الى المطران منفردا بعيدًا عن عيون الفرس
يا صاحب القبطة ... إن "سعدًا" أرسلني إليك يطلب عونك !
ما قصّرنا مع "المثنى" ولن نقصّر مع "سعد" ... همّنا أن نحرّر بلادنا من حكم فارس !
سوف تصل "سعدًا" الأموال والرجال تباعًا حتى يكتب الله النصر لنا ولكم !
عاد الرسول إلى "سعد" وقد حمل في صدره تقريرًا كاملًا عن وضع جيش فارس
اجتمع الرسول الى سعد واطلعه على ما أفاده مطران السريان العربي.
صدقت يا رسول الله : العرب خير أمّة أخرجت للناس !
لقد شدّد صاحب القبطة على التحذير من مكر "رستم" ودسائسه


قضت خطة سعد استفزاز العدو واستدراجه إلى أرض القادسية وإرغامه على عبور النهر إلى الضفة الغربية حيث يلقاه الجيش العربي وهو على أتم استعداد للمعركة، وخرجت مفارز جنود العرب تغير على السكان وتبعث الذعر في نفوسهم وتخلق الفوضى في صفوفهم ودساكرهم وتفوز بالمغانم التموينية ..
أخرجوا من أرض العرب أيها الأعاجم !
أين قوة "كسرى" وسطوته كي تحمينا من شرّ العرب !؟
دبّت الفوضى في تلك النواحي وانطلقت حشود السكان مذعورة تقصد سادتها تلحّ في طلب حمايتها من غزوات العرب ...
أيها الناس لقد خربت ديارنا !
لم يبقِ العرب لنا شيئا ... لقد نهبنا !
أين "كسرى" ملك الملوك لينقذنا !؟
وبلغ المذعورون ديوان "كسرى" وسُمح لوفد منهم بمقابلته ...
ما الذي يجري أيتها الفئران المذعورة ؟
كان الوفد مؤلفاً من أعيان وزعماء وإقطاعيي النواحي المحيطة بالقادسية
سيّدنا العظيم لم يبقِ لنا العرب شيئاً نعيش عليه من ناحية "كسكر" وحتى "الأنبار" ... إنهم يغيرون علينا كالجان وأشد فتكاً من الصاعقة !

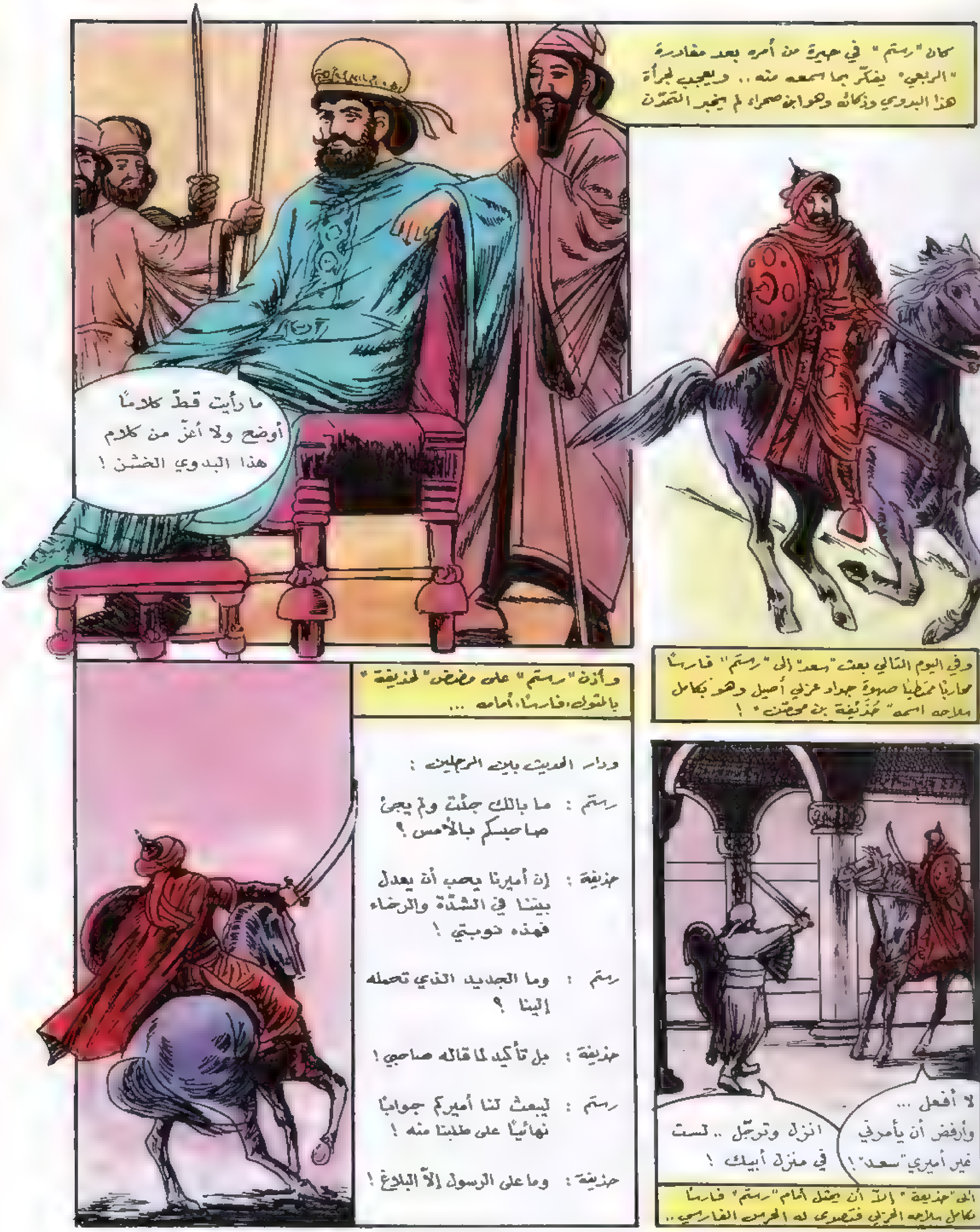

منذ متى كانت العرب
تجرأ على العجم ...
ليحضر "رستم" إليّ
في الحال ...
سمعًا وطاعة
يا ملوك الملوك !
استبدّ الغضب بيزدجرد وقد استفحلت غارات
العرب الناجحة ، ومعها تصاعد التذمّر لدى السكان . فصمّم على
وضع حدّ لما يجري وبأقصى السرعة ...
ما هؤلاء العرب
يا "رستم" حتى يجرأوا
علينا ؟
ذئاب صادفت
غرّة من رعاة
فأفسدت !
ومثل "رستم" بين يدي "كسرى يزدجرد"
فلقيه في حالة من الغضب الشديد ...
إن هذا الأحمق
يدفع بجيشه
إلى الهلاك
طائعا !
خرج رستم من لدن "كسرى" ممتعضًا وقد ألحّ عليه "كسرى"
بالخروج إلى القادسية والقضاء على العرب ...
نفذ "رستم" أوامر "كسرى" وخرج على رأس جيش كبير وتوجّه صوب القادسية
وهو غير مقتنع من صواب ما يفعل ...
لكأني أسوق القطيع
إلى الذبح !
أيها الرجال ، إن العرب قد
تجرأت على العجم ونحن
هنا لنؤدبهم ونمزّق صفوف
قبائلهم حتى لا يجرأوا بعد
اليوم على العجم !
أقام "رستم" مضاربه في "ساباط" وأخذ يرسل إلى "كسرى" الرسول تلو الرسول
في محاولات يائسة ليثنيه عن عزمه ، فكان لا يلقى من "كسرى" سوى الصدّ
والتعنت والإصرار عليه لتنفيذ ما أمره به ...


سُرَّ "سعد" لأنباء مسير الجيش الفارسي بقيادة "رستم" وإقامته في "ساباط" ... واغتبط لجواز حيلته على الأعاجم، بحيث أن يدفعهم إلى عبور النهر إلى الضفة الغربية فيسهل الفتك بهم ويضمن نصراً عظيماً، وإمعاناً في استفزازه عهد إلى "النعمان بن المقرن" أن يخيّر "كسرى" بين واحدة من ثلاث: الإسلام أو الجزية أو الحرب..
الحكمة والحنكة بعض شيم العرب، وهذا أوانهما!
أن نسخر من المغرور فيندفع دون تبصّر، وتلك غاية ما نتمنى!
يا "نعمان"، إن كبير القوم مغرور ولجوج فلننفذ من علته ما وسعنا!
ترأس "المقرن" وفداً عربياً وتزيّا بكامل لباس العرب المهيب ودخل المدائن إلى إيوان "كسرى" محاطاً بحرس من جنود العجم ...
مضى "المقرن" وصحبه إلى إيوان "كسرى" للقاء "يزدجرد"!
يا يرابيع الصحراء، كيف تخرجون على طاعة أسيادكم أكاسرة فارس وملوك الدنيا؟!
جئت إلى هنا لأخيّرك إلى واحدة من ثلاث: إما الأسلام أو دفع الجزية أو الحرب!
يا يربوع.. ألملك الملوك تقول مثل هذا الكلام، يا عسكر لقنوا العربان درساً!
تعمّد "المقرن" ازدراء "كسرى" وخاطبه باستهزاء ...
أشبع الحرس "المقرن" والوفد المرافق ضرباً وشدّوهم بالحبال وطافوا بهم ساحات وشوارع المدائن إمعاناً في تحقيرهم!


ليعبر "رستم" النهر في الحال وليمزق قبائل العربان ويقضي عليهم إلى الأبد !
استبد "بكسرى" الغضب فاستشاط غيظًا ...
إنّه غرور القوي ، فهو يعتبر العرب بعض عبيده ورعايا أجداده !
ليتك رأيت قسمات وجه "كسرى" عندما عرضت عليه الشروط متصنّعًا الجدية !
عاد "المقرّن" مغتبطًا إلى القادسية وأعلم "سعدًا" جواز الحيلة على "كسرى"، ففرح "سعد" لنجاح "المقرّن" ...
يا أعداء !.. فرحتم بدخول بني قومكم ، العرب ، علينا فانقلبتم عيونًا وأعوانًا لهم علينا !
إن أصحابكم هم الذين هتكوا أسراركم للعرب ، ونحن ما دفعنا الأموال للعرب إلا صونًا لأرواحنا وقد عجزتم عن حمايتنا !
تمادى رستم في العبور إلى الضفة الغربية أملاً في تنفيذ "كسرى" لأوامره، واهتم بأنباء تعامل نصارى الحيرة مع المسلمين فاعتقل بعض أعيانهم وساقهم إلى سرادقه القائم إلى جانب الدير الواقع بين النجف وقصر الخورنق الشهير ...
صرف "رستم" أعيان الحيرة وقد أعيته حيلتهم ...
إن "كسرى" هذا يدفعنا إلى الهلاك دفعًا !
كأن الله أعمى بصيرة "رستم" فنجونا !
عاد أعيان الحيرة إلى مساكنهم فرحين لنجاتهم من العقاب ...
قرّر "رستم" الخروج إلى النهر بنفسه لدراسة المكان قبل الإقدام على فتح المعركة .. فتزعّم ثلّة من رجاله وطاف في المكان على امتداد شاطئ النهر ...
كأننا نسير إلى حتفنا بأنفسنا !
إن أمر "يزدجرد" كالقضاء لا ردّ له !


فكيف ؟. بعد أن نعبر النهر !.. إنها الكارثة !
يا "هرمزان" ليس سهلاً أن نخوض معركة ناجحة في هذا المكان !
وقف "رستم" يتأمل القنطرة ويجول بنظره حول الموقع وانتهى إلى أن خير وسيلة للتعامل مع العرب هي كسب الوقت بعد أن تأكد من استعدادات العرب الكبيرة ...
أنتم جيراننا، ومنكم طائفة في سلطاننا، أبلغ أميرك أن يرسل إلى "رستم" وفداً ليبحث في الصلح
إن ديننا يدعو إلى السلام، لسوف أبلغ الأمير "سعد" برغبة سيدك !
أكمل الجيشان الفارسي والعربي توزيع جنودهما على أرض المعركة في مقابل بعضهما، فرأى "رستم" أن يقابل "هرمزان" القائد "زهرة" المكلف بحماية القنطرة ومحاورته عن الصلح
انطلق "زهرة" فرسه وانهب الأرض نهباً سعياً للقائد "سعد"...
دخل "زهرة" خيمة الأمير "سعد" وأطلعه على طلب "رستم" !
إن "رستم" داهية في الحرب، ولكنا سنرميه بما يشوش عليه فكره ويرعد فرائصه !
قد تكون خديعة منه ليختبر قوتنا وعزيمتنا قبل أن يفتك بنا !
اجتمع "رستم" بأركان حربه مرتاحاً إلى جواز حيلته على العرب !
العرب بدو مغفلون، سترون كيف سيسيرون إلى الشرك بأرجلهم !
وعندها نطبق عليهم وهم كالثعالب وقد وقعت في الأفخاخ !


ضع سلاحك هنا، فتستعيده عند خروجك من حضرة "رستم"!
اعلم "رستم" بأني لم آتك لأضع سلاحي بأمركم !
كان أول الرسل إلى "رستم" بدويًّا فظًّا بكامل سلاحه وعدة حربه اسمه "ربعي بن عامر". اعترض حرس "رستم" على تقلّده سلاحه وهو ذاهب للمثول أمام "رستم" !
وأعلم "رستم" بخبر البدوي الرسول.. فأذن له بالدخول ...
أمر هؤلاء العرب عجب ... أدعياء مكابرون !
رافق الحرس الفارسي "الربعي" حتى مثل أمام "رستم" ...
إن للأعاجم آراء وآداب، ولنا نحن العرب الإباء والشمم !
وقف "الربعي" أمام "رستم" فأخذ الحديث مجراه بين الرجلين :
رستم : ما جاء بكم إلى بلادنا والتجرؤ علينا وأنتم على علم بقوّتنا ؟
ربعي : الله جاء بنا لنهدي من شاء إلى عبادته ، وهو وحده القوي العزيز !
رستم : ماذا تحمل لنا جوابًا على الحديث في الصلح ؟
ربعي : اختر واحدة من ثلاث :
الإسلام فندعك وأرضك !
الجزية فنقبل ونكف !
الحرب ونحن لها حتى النصر أو الشهادة !


كان "رستم" في حيرة من أمره بعد مغادرة "الربعي" يفكر بما سمعه منه .. ويعجب لجرأة هذا البدوي وذكائه وهو ابن صحراء لم يخبر التمدن
ما رأيت قط كلاماً أوضح ولا أعزّ من كلام هذا البدوي الخشن !
وفي اليوم التالي بعث "سعد" الى "رستم" فارساً محارباً ممتطياً صهوة جواد عربي أصيل وهو بكامل سلاحه اسمه "حذيفة بن محصن" !
لا أفعل ... وأرفض أن يأمرني غير أميري "سعد" !
انزل وترجّل .. لست في منزل أبيك !
الى "حذيفة" إلاّ أن يمثل أمام "رستم" فارساً بكامل سلاحه الحربي فتصدى له الحرس الفارسي ..
وأذن "رستم" على مضض "لحذيفة" بالمثول فارساً أمامه ...
ودار الحديث بين الرجلين :
رستم : ما بالك جئت ولم يجئ صاحبكم بالأمس ؟
حذيفة : إن أميرنا يحب أن يعدل بيننا في الشدّة والرخاء فهذه نوبتي !
رستم : وما الجديد الذي تحمله الينا ؟
حذيفة : بل تأكيد لما قاله صاحبي !
رستم : ليبعث لنا أميركم جواباً نهائياً على طلبنا منه !
حذيفة : وما على الرسول إلاّ البلاغ !


الأمير "سعد" من دهاة العرب، الرسول الأول أراد أن يفهمني احتقار العرب للأبهة والثاني عنى بأن الحرب بعض صنعتهم وكلاهما راسخ في إيمانه !
أخشى أفول نجم الفرس وأنا أنظر نجم العرب في صعود !
حار "رستم" في تصرّف خصمه "سعد" الشاذ على قواعد الدبلوماسية بين الأعداء، وإرساله رسلاً متباينة في الهيئة والزيّ ولكنها متفقة في الرأي وانتهى: أن خصمه رجل واسع الحيلة وذكي وشجاع
يا "مهربد" إن الأعاجم لا ينقصهم الذكاء إنما استبد بعقولهم الغرور !
وهل سيفهم "رستم" معنى ركوبك متن الناقة وأنت في زيّ العربي العادي ؟
كان "المغيرة بن شعبة" الرسول الثالث إلى "رستم". اعتلى متن ناقته وسار باتجاه مقر "رستم" ...
إنا معشر العرب سواء لا يستعبد بعضنا بعضاً، ويحك يا "عبود" أنت عربي فأبلغه عني !
يا عربي تهيّب، إن العامة لا تختلط بالملوك والأعيان !
وفي حضرة "رستم" أراد مغيرة أن يزيح أحد "رستم" ليجلس مكانه فمنعه، وطلب "رستم" من الترجمان "عبود" أن يفسّر فعلته ..
الآن علمت أنكم مغلوبون وملككم إلى الزوال !
احترس ! ما كنت أظن أني أعيش حتى أسمع منكم معشر العرب مثل هذا !
والتفت المغيرة إلى "رستم" بعد أن أمر "عبود" أن يترجم ما يقول حرفياً !
الحمد لله رب العالمين الذي خصّنا نحن العرب بخلق عظيم !
خرج المغيرة من حضرة "رستم" جذلاناً مسروراً !


نقل المغيرة بين يدي "سعد" وأوقفه على ما دار بينه وبين "رستم" .. واختصر ما فسّره "لرستم" عن شروط العرب المسلمين للصلح وعن "محمد" ورسالته التوحيدية السمحة ، وعادات العرب وتقاليدهم ، وانتهى بأن بشّر "سعد" بالنصر المبين ..
الأعاجم غافلون عمّا تبدّل من حولهم، إن غرورهم سيرغمهم على عبور النهر والخوض في المستنقعات الضحلة !
حينئذ ستكون مفارز كمائننا لهم بالمرصاد !
وصلت رسالة الخليفة وفيها يشدّد على ضرورة مطاردة العدو والقضاء عليه ، وكانت الاستعدادات للمعركة ، قائمة على قدم وساق ..
ألمّ "بسعد" مرض عضال واشتدّت آلام الدمامل وعرق النسا عليه فاجتمع إليه المغيرة
المعركة على الأبواب وفي أحرج الأوقات تفاقم عليّ الداء !
خير ما تفعله أن تستوي على سرير يُرفع فوق برج القلعة ومن هناك تقود المعركة !
عززوا الكمائن ، وليموّه الرجال مكامنهم جيّدا !
لقد تمّ ذلك وتمّ أيضا تعزيز حامية القنطرة ، والكتائب تتمركز الآن في مواقع ميدانية على الأرض !
استوى "سعد" على سريره وحمله الجند إلى برجي القلعة وراح يصدر أوامره للقادة ...
كان "سعد" يشرف على ميدان المعركة تمامًا ، ويوجّه قادتها بأوامره ...
إن جيشًا يقوده مثل هذا الرجل لن يعرف غير النصر !


عيّن "سعد" نائباً له في قيادة العمليات من بين ثقاته .. ووقع خياره على "خالد بن عرفطة" وأخذ يلقي برقاع أوامره يحملهم بتدبيره للقادة القابعين في أسفل البرج ...
لقد عيّنت "خالداً" أميرًا عليكم فأطيعوه !
ما الذي رأى الأمير في "خالد" من مزايا خارقة حتى فضّله علينا ؟
دبّت البلبلة في صفوف القادة فتمرّد بعضهم على التعيين مستنكرًا ...
إن هو إلاّ "ابن عرفطة"، والله لن أضع سيفي تحت إمرته أبدًا !
من تكون يا أخرق حتى تخرج على أميرنا "سعد" وقد ولاّه الخليفة "عمر" !
غضب "سعد" من تمرّد بعض قادته على أمره فأمر باعتقالهم وإذلالهم وعزلهم ...
هدأ "سعد" من ثورته بعد عقاب المتمرّدين ، وقد ساءه أن يرى في صفوف المسلمين من لا يمتثل لأمر أميره ...
ما حال أيّ جيش إذا فقد انضباطه ؟
الله أكبر ليس الآن وقت ثرثرة لا طائل تحتها ، وأمامنا عدو شديد البأس !
تولّى "خالد" القيادة وفرض الانضباط بسرعة وانصرف لشؤون المعركة المقبلة ...


تسلم "رستم" رسالة تعنيف شديد من "يزدجرد" يهدده بالعقاب إن هو لم يدفع بالجيش إلى المعركة عبر النهر ويقضِ على العرب
هذا الرجل متهور. إننا إلى الهلاك سائرون بمشيئته!
أمر "رستم" الجيش بالمسير إلى مجابهة العرب في عقر مضاربهم على الضفة الغربية للنهر...
وحق المقدسات إننا إلى حتفنا لسائرون رغماً عنّا!
أخذ جيش الفرس يعبر نهر "العتيق" بأحماله وأثقاله فرقة عقب فرقة...
كان جيش العرب يتوزّع على أرض المعركة وفقاً لتحرّكات جيش فارس...
أيّها العرب، أيّها المجاهدون، تقيّدوا بالأوامر الصادرة وإيّاكم وركوب رؤوسكم!
استكمل الفرس تمركزهم، وكان العرب لهم بالمرصاد وعلى أتمّ الاستعداد...


الله أكبر !
هذا يومكم يا عرب .. استميتوا في سبيل النصر ولا تخاذلوا !
أطلق "سعد" صيحة البدء بالمعركة الكبرى معركة الفصل بين العرب والعجم في القادسية وفيها قابل المجاهدون العرب جيش فارس الكبير الذي بلغ ذات يوم أرض اليونان ومصر واليمن ..
في ذات الوقت الذي كبّر "سعد" إيذاناً ببدء المعركة خرج من صفوف العرب خارج واندفع سريعاً إلى صفوف الفرس
الله أكبر .. لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله !
سرت صرخة التكبير في نفوس العرب سريان النار في الهشيم واستبدّ الحماس بالمجاهدين فهدروا مردّدين ...
ثبّت أقدامهم يا رب العالمين ، أنصرهم على عدوّهم !
كان الأمير "سعد بن أبي وقاص" يراقب المعركة من مربضه كالنسر المحلّق !
الله أكبر .. إلى الأمام !
اندفع "خالد بن عرفطة" أمام العساكر ليقود الهجوم بنفسه ...
أفاد "رستم" من المعلومات التي نقلها إليه الخائن الفار من صفوف العرب فوضع ثقله على فرقة الفيلة لتحطيم الهجوم العربي
فرقة الفيلة .. هجوم !
اندفعت الفيلة الجامحة تدوس ما تصادف في طريقها .


دارت معركة ضارية بين الجيش العربي الفتيّ وبين جيش فارس العرمرم والمدجج بالسلاح والعتاد والمتمرس في الحروب. أبلى العرب في المعركة أحسن بلاء وجاهدوا ما وسعوا ولكن دون فوز ظاهر ...
كان "سعد" يراقب المعركة قلقًا .. وخشي أن تلحق الهزيمة بصفوف العرب ..
عجّلوا في طلب نجدة قبائل العرب بكر ووائل وتغلب. ليس هذا وقت الحديث عن النصرانية والإسلام! العرب في خطر!
كانت الفيلة تفتك بصفوف العرب ... والمجاهدون يستميتون في سبيل الصمود أمام الهجمة الضارية ...


أهربوا.. إن الجان تعاون العرب علينا !
أُبلغ أمر "سعد" إلى القادة الذي فيه يسألهم ويقول: "يا معشر العرب أما عندكم لهذه الفيلة حيلة"؟!. اندفع بعض شباب الحيرة إلى أمراء الأعلام وقالوا: "نعم عندنا للفيلة حيلة، أن نرمي عيونها ونقطع أحزمة أبراجها"... وتكاثر العرب من حول الفيلة يفقأون عيونها بنبالهم أو بحرابهم ويقطعون أحزمة أبراجها بسيوفهم.. حتى ألحقوا بها هزيمة نكراء...
يا ويلنا ... إنها الكارثة ... إنها الهزيمة !
دب الذعر في صفوف الفرس فأخذت تولي الأدبار هاربة.
إن مصير كل العرب واحد فما يصيبنا نحن المسلمون من نصر يعود خيره على العرب كافة !
استبشر "سعد" خيرًا وهو يرى إلى الفرس وهي تتراجع وفيلتها تدوس جنود الفرس بأخفافها...
غضب "رستم" لانقلاب المعركة لصالح العرب فأمر بزج قطعات الفرسان في المعركة ..
ليدعم الفرسان المشاة والرماة ويثبّتوا الصفوف المضعضعة !
إن انقلاب عرب الحيرة علينا هو الذي سبّب هزيمة فرقة الفيلة !
افتكوا بالعرب ولا تبقوا منهم عيرا ولا نافخ نفير !
وأسرع قائد فرقة الفرسان، وهي من أقوى الفرق الفارسية المحاربة، وصدر غاضبًا وأمرها بالدخول إلى المعركة ...


الله أكبر .. أهلا بالاخوة العرب!
كانت الحرب سجالاً عندما وصلت تعزيزات الخليفة ، وقد اقتطعها "خالد بن الوليد" من جيشه المحارب في أرض الشام وتعمّد أن تكون من العراقيين ، لأنهم أخبر من غيرهم قتال الفرس ... واستقبلت القوات العراقية استقبالاً حافلاً ...
تسلّم "سعد" كتابا من الخليفة وانكب يتمعن في فحواه ...
ازداد "سعد" إعجاباً بالخليفة العظيم "عمر" بعد أن فرغ من قراءة الكتاب ...
كيف يفطن هذا الرجل إلى دقائق أمور المعركة وهو بعيد عن ميدانها مئات الأميال !؟
مرّ أمراء ألوية المحاربين العراقيين تحت البرج يقدّمون احترامهم للأمير "سعد" ...
يا أميرنا منذ الساعة نحن تحت أمرتك فانظر ما تكلّفنا من مهام !
كتب "سعد" أوامره إلى العراقيين وألقى بالرقعة إليهم ...
في الرقعة مهمتكم ، وإن استلزم شرحاً عليكم "بخالد بن عرفطة"!


طلع يوم جديد على أرض القادسية ، وانتظم الجيش العربي تحت ألويته وراياته في صفوف متراصة أمام جيش الفرس الكبير !.. كان العرب قد أخلوا شهداءهم وجرحاهم من أرض المعركة على جري عادتهم بينما ترك الفرس جثث قتلاهم ملقاة في الفلاة !.. خرج من صفوف العرب " القعقاع ابن عمرو " الفارس الصنديد وكان قد وصل لتوه إلى القادسية ، وراح يهدر كالأسد
هل بينكم من يجرؤ على مبارزتي ، يا علج الفرس ، ليخرج إلى حتفه !
اخرس !! قادم أنا لأخطف روحك من بين جنبيك !
كان ذو الحاجب الفارس العجمي هو الذي خرج للقاء " القعقاع " ومبارزته وكان فارساً مشهوراً بقوته ومتميزاً بكثافة حاجبيه ، هجم على " القعقاع " كالوحش ودارت بين المحاربين معركة عنيفة أنهاها " القعقاع " بضربة قاتلة إلى رأسه
واندفع " القعقاع " نحو صفوف العجم يخترقها منفرداً وقد جعل هدفه التمكّن من " رستم " . وكانت الأعاجم تفرّ مذعورة من أمامه .. و" القعقاع " يفتك بصفوفهم غير آبه بالجراح التي أُثخن بها ...
وحق زرادشت لن أرتاح ما لم أفتك بكل المحمّديين ، لأجعل العرب من بعد أذلاّء إلى أبد الآبدين !
كان " رستم " يستشيط غيظاً وغضباً وهو يرى إلى المعركة التي تدور من حوله ...


أسرع في طلب نجدة قبائل العرب بكر ووائل وتغلب فهذا يوم ذي قار آخر !
ألقى "رستم" بعساكره وكتائبه في المعركة منفذًا وعيده، رأى "سعد" أن ميزان المعركة أخذ يميل لانتصار الأعاجم، فتدارك الوضع وأرسل على عجل رسولًا إلى قبائل العرب ...
بإذن الله كما في ذي قار سوف لن نخذل بني قومنا، وسنكون يدًا واحدة على الأعداء !
اندفع الرسول يلهب الأرض نهبًا في طلب النجدة ...
مثل رسول "سعد" أمام سيد بكر وأوقفه على وضع العرب الصعب في القادسية ...
إن "سعدًا" يطلب نجدتكم ويقول : هذا يوم العرب له ما بعده !
بلّغ الأمير "سعد" نحن لها، لن يقال إن بكرًا تقاعست عن النجدة !
أيها العرب : كما في ذي قار بالأمس ليكن في القادسية اليوم، قاتلوا قتال الرجل الواحد والقلب الواحد في سبيل مجد العرب ونصرهم !
استنفر سيد بكر النخوة العربية وحشد قبائل العرب النصرانية من بكر ووائل وشيبان وتغلب ... لنجدة العرب المسلمين أتباع الرسول العظيم "محمد بن عبد الله" !
الله أكبر .. أهلًا بأبطال ذي قار !
وتقاطرت النجدات العربية إلى القادسية بحماس منقطع النظير واستقبلت في القادسية بالتهليل والتكبير ...
اتخذت النجدات العربية أماكنها على أرض المعركة ... وصرخ المنادي بصوت حاد ...
الله أكبر ... هذا يوم ذي قار آخر يا عرب !


الله أكبر.. الله أكبر
إستمرت المعارك الضارية سجالاً بين العرب والفرس أياماً، حتى كان يوم سمّاه الرواة: "ليلة القادسية"، يوم كلّ فيه الطرفان من القتال، وعجز عن الفوز بالنصر أيٌّ من الجانبين ... تزعّم "القعقاع" جماعة من المقاتلين الأشدّاء وصار رأس حربة قتالية باتجاه "رستم" واستعر أوار القتال، وحدث أن ارتفع من وراء صفوف الفرس تكبير عارم فثبّط من عزائمهم ...
كان التكبير يصمّ آذان الفرس من أمامهم كان المسلمون العرب يكبّرون ومن خلفهم النصارى العرب يكبّرون والسيوف العربية في خضم المعركة تفتك بهم ...
قتلت رستم .. قتلت رستم!
أدرك أحد العرب رستماً وهو يهرب طالباً النجاة فقتله!
الملائكة نزلت من السماء وهي تحاربنا انتصاراً "لمحمد".. أهربوا!
ذُعِرَ الفرس ودبت الفوضى في صفوفهم عقب انتشار خبر مقتل "رستم"، ولم ينقطع التكبير يصمّ آذانهم من كافة الجبهات!


إندحر الفرس في القادسية وبذلك مالت دولتهم وأفل نجم مجدهم ...
وسطع عاليًا في السماء نجم العرب بفضل رسالة "محمد بن عبد الله" السماوية
التي تدعو الى التوحيد والعدالة والسلام بين الشعوب، وسارت جموعهم أسرى الفرس ذليلة أمامهم
إنه يوم عظيم في حياة العرب !
وتقاطرت وفود المهنئين على الامير "سعد" وكان المطران "صلوبا بن نسطونا" على رأس عرب الحيرة السريان
هو نصر للعرب جميعًا، يا صاحب النيافة، وقد ساهمتم في صنعه بقسط وافر !
لقد عزّنا الله بنصر العرب على يديكم، فاقبلوا تهانينا الحارة !
غمرت الفرحة المطران لزوال كابوس الفرس عن صدر العرب ...
سبحانك يا رب العالمين، لقد أنعمت علينا بالحرّية على يد بني قومنا !
أطل الأمير "سعد بن أبي وقّاص" من برجه مزهوًا بالنصر المبين وجال بناظريه على حشود العرب ومضاربهم، ومرت بخاطره ذكريات الأيام الأولى للدعوة فدمعت عيناه تأثرًا !
سبحانك يا رب العالمين، إليك نرفع أسمى آيات الحمد والشكر على نصرك لنا في هذا اليوم المبارك !